مُقَدِّمَة

إن توثيق ونشر خطب وكلمات وأحاديث جمال عبدالناصر خلال أكثر من ثمانية عشر عامًا – منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى رحيله في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ – ليست فقط محاولة للتأريخ لزعيم وطني، ولكنها في واقع الأمر تؤرخ لعصر بأكمله ولحقبة هامة من الكفاح القومي والعربي جرت في إطار دولي حكمته الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وإن بدأت قرب نهايتها مظاهر الوفاق الدولي بينهما، وهو ما كان مقدمة لعصر العولمة وسيطرة القطب الواحد.

وتعتبر خطب جمال عبدالناصر مصدرًا هامًا للمعلومات، حيث كان يتوجه إلى الشعب مباشرة شارحًا قضايا العمل الوطني، محللاً ما يحيط بها من تحديات دولية وإقليمية ومحلية، واضعًا جماهير الشعب أمام مسئولياتها التاريخية بما تستوجبه من تضحيات وعمل شاق. وقد كان في كل ذلك يتبع منهجًا يتسم بالصراحة والوضوح والنقد الذاتي؛ مما خلق بمضي الوقت علاقة مباشرة ووثيقة بينه وبين المواطنين، عمق منها عنف المعارك التي خاضوها سويًا، وحدة التحديات التي ساندوه لمواجهتها.

ولقد كانت لجمال عبدالناصر مقدرة فائقة على شرح القضايا المعقدة والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والمسائل الأيديولوجية ببساطة تجعلها تصل بجوهرها وتفاصيلها إلى المواطن العادي بسهولة تعمق من تجاوبه مع السياسات والقرارات والمواقف، تعدى فيها تأثيره حدود الوطن العربي إلى آفاق العالم الثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

إن خطب وأحاديث جمال عبدالناصر هي تعبير أمين عن فلسفته بما تتضمنه من مبادئ ثابتة لم تتزعزع .. العزة، الكرامة، الحرية، الاستقلال

الذاتي، محاربة الاستعمار والاستغلال والاحتكار، إقامة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص، توسيع المشاركة الديمقراطية ...، وهي تقدم أيضًا التفسيرات لمواقفه وسياساته التي كانت تتسم بالبراجماتية والمرونة في إطار تلك الثوابت؛ ومن ثم فإن كلماته تكتسب قيمة إضافية؛ حيث إنها الأقدر في كل وقت على أن تجيب على كل ما أُثير حول ثورة ٢٣ يوليو منذ رحيله.

وبين يدي القارئ عمل علمي يوثق ويحقق خطب وكلمات جمال عبدالناصر وأحاديثه الصحفية، بالإضافة إلى المناقشات التي أجراها مع فئات مختلفة من الشعب. وقد تم الاعتماد في مصادر هذا السجل بالدرجة الأولى على تفريغ شرائط خطب جمال عبدالناصر المسجلة بصوته في الإذاعة المصرية، وكانت الصحف الأساسية – الأهرام والأخبار والجمهورية – هي المصدر الثاني لما لم يكن مسجلاً منها . وقد تم إجراء مراجعات متعددة لضمان دقة العمل، مع الحرص على الاحتفاظ بكل ما جاء في الخطب والأحاديث كما هو، خاصة وأن جمال عبدالناصر كان يستخدم في كثير من الأوقات اللهجة العامية في التحدث إلى الشعب.

ولقد تم تقسيم هذا العمل الضخم إلى أحد عشر مجلدًا تتبع التسلسل التاريخي من الأحدث إلى الأقدم حتى يسهل على القارئ الرجوع إليها، وبيانها كالتالي:

المجلد الأول من ٢٥ يناير ١٩٦٧ إلى ٤ ديسمبر ١٩٦٨.
المجلد الثانى من ٢٠ يناير ١٩٦٩ إلى ١ سبتمبر ١٩٧٠.
المجلد الثالث من ١٢ يناير ١٩٦٦ إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦.
المجلد الرابع من ١٣ يناير ١٩٦٤ إلى ٣١ ديسمبر ١٩٦٥.
المجلد الخامس من ١٩ يناير ١٩٦٢ إلى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٣.
المجلد السادس من ٦ يناير ١٩٦١ إلى ٢٥ ديسمبر ١٩٦١.
المجلد السابع من ٧ يناير ١٩٦٠ إلى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٠.
المجلد الثامن من ١٧ يناير ١٩٥٩ إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩.
المجلد التاسع من ١٦ يناير ١٩٥٧ إلى ٢٧ ديسمبر ١٩٥٨.

المجلد العاشر من ٦ يناير ١٩٥٥ إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٥٦.

المجلد الحادى عشر من نوفمبر ١٩٥٢ إلى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٤.

مع الالتزام بفهرس للأعلام وآخر موضوعي لمزيد من التيسير في البحث. ولأن الأحداث في مجراها التاريخي لا تفصل بينها التواريخ في جمود؛ فمن الطبيعي أن يحدث تداخل بين الأحداث التي تتضمنها تلك الأجزاء من خطب جمال عبدالناصر، فيبدأ حدث في أحد الأجزاء ويستمر بتداعياته في أجزاء تالية، ولكن الفهرس الموضوعي من شأنه أن يعالج ذلك .

وقد رأينا خدمة للباحث – واختصاراً للوقت – أن نبدأ بطباعة خطب جمال عبد الناصر فى آخر فترة من حياته، من يناير ١٩٦٧ إلى سبتمبر ١٩٧٠، تلك الفترة الفاصلة من تاريخ مصر حيث رفضت هزيمة ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل لسيناء والجولان والضفة الغربية، وأدارت معركة إعادة بناء النظام من الداخل فى موازنة دقيقة بين ضرورات التغيير وموجبات الاستمرار، مع التركيز طوال الوقت على متطلبات الحرب وإعادة بناء قواتها المسلحة الحديثة وشن حرب الاستنزاف، فكانت هذه المرحلة هى قمة الأداء السياسى لجمال عبد الناصر، فى ظروف دولية شهدت مقدمات الوفاق بين القوتين الأعظم، فقد استطاع أن يحقق بنجاح هدف إعادة البناء العسكرى وإعداد الدولة للحرب للانطلاق إلى مرحلة التحرير، وقد حافظ على الإرادة الوطنية حرة من كل قيد برغم هول التحديات.

ولقد عبر جمال عبد الناصر عن هذه المرحلة بحق حين قال: "إنى أثق أن أجيالاً قادمة سوف تلتفت إلى هذه الفترة وتقول كانت تلك من أقسى فترات نضالهم، ولكنهم كانوا على مستوى المسئولية، وكانوا الأوفياء بأمانتها".

وتتسلسل بعد ذلك المجلدات حتى تصل إلى بداية الثورة فى ١٩٥٢.

وفى يقينى أن هذه المجلدات، التى تحتوى فكر وكلمات جمال عبد الناصر هى أصدق الوثائق، التى توضع لأول مرة كاملة فى يد الشباب والمؤرخين، فيصبح صوته مسموعاً يرد على أى إدعاء ويفسر الماضى والمستقبل فى مسيرة

مصر والوطن العربى منذ أذن لحريتهما فى منتصف القرن الماضى وقال: "إرفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد".

ولقد كان جمال عبد الناصر قارئاً للتاريخ مستوعباً لمسيرته مجسداً لخلاصة الأهداف الوطنية لشعوبه فكانت رؤيته أن "دعوة القومية العربية ليست دعوة فرد أو أفراد، وليست دعوة حكومة من الحكومات، ولكنها دعوة شعب توارثها من جيل إلى جيل، دعوة شعب بذل فى سبيلها الدماء والأرواح، دعوة شعب يؤمن أنها دعوة القوة وأنها دعوة الحياة".

وتحكى هذه المجلدات قصة حياة جمال عبد الناصر التى عاشها عطاء ونضالاً، يؤمن فى كل وقت وطوال الوقت بحجم مسئوليته عن تحقيق الحرية لوطنه والرخاء لكل واحد من أبناء الشعب العربى، وهو ما عبرت عنه كلماته: "لقد أعطيت هذه الثورة العربية عمرى وسيبقى لهذه الثورة العربية عمرى... لقد أعطتنى هذه الأمة من تأييدها ما لم يكن يخطر بأحلامى وليس عندى ما أعطيه لها غير كل قطرة من دمى".